شيخ الاسلام تقي الدين ابن دقيق العيد(ت ٧٠٢ هـ/ ١٣٠٢ م) ومواقفه من سياسة الدولة المملوكية

أ.م.د. مشتاق كاظم عاكول
بغداد / كلية التربية ابن رشد

أ . م . د . عمار مرضي علاوي جامعة
الجامعة العراقية / كلية الآداب

المستخلص

هذا البحث مخصص للتعريف بأبن دقيق العيد وأثره العلمي في صيانة النظام القضائي، فضلاً عن تسليط الضوء على مواقفة ضد السياسة المملوكية الممثلة بموقفة من الوزير ابن السلعوس بخصوص قضية القاضي ابن بنت الاعز ، وموقفة من نائب السلطنة منكوتمر الذي ادعى بأن هناك شخص غير معروف كان أخاً لتاجر كان قد توفي ولم يترك وريثاً فقط ذلك الشخص .

أيضاً موقفة ازاء السلطان بعد فرض الضرائب على المجتمع ليغطي تكاليف الحرب ضد المغول كذلك رفضه للقرار القاضي بهدم الكنائس ، وأخيراً موقفة كشاهد ومؤيد لخلافة المستكفي .

The study is dedicated to define Ibndakiq –Al Eed and his scientific role preserving judiciary system

Abstract

As well as shedding th light on his attitudes versus the mamluki policy represented by his attitude of miniterIbnsaloos regarding the case of judge IbnBint AL-A, A2R-his attitude from the sultanate deputy MinCumet were he claimed that there were an unknown person who was the brother of amerchant died and left a for tune with no heir but that person

Also his attitude against the sultan after issuing taxes upon people to ovevcome the expenses of war against Mongols also his rejection to a decision judge to demoluh was churches accepted . finally his attitude as a witness and Supporter for the Caliphate of Mustkfi .

المقدمة

يعد العصر المملوكي واحدا من العصور الاسلامية التي شهدت حياة علمية قل نظيرها، شهد لها بذلك الاعداء قبل الاصدقاء، وكان للعلماء دور بارز فيها .

ومن هؤلاء العلماء شيخ الاسلام ابن دقيق العيد(ت ٧٠٢ هـ / ١٣٠٢ م) الذي ترك بصمته في حياة دولة المماليك البحرية (٦٤٨ . ٧٨٤ هـ /١٢٥٠ . ١٣٨٢ م)من خلال مواقفه الجريئة الحازمة، التي إن دلت على شيء فهي تدل على علمه وتمسكه بمبادئ الشرع الحنيف .

وفي هذه الدراسة سنحاول أن نفتش عن مواقفه المختلفة والمندثرة في بطون الكتب ونكون منها مادة علمية تستحق العناء، لنبرز دور ذلك العالم الجليل؛ على الرغم من أنه اشتهر في مجال القضاء والفتيا والتأليف .

وهنا نحاول أن نطرح الاسئلة المتعلقة بمواقفه في تلك السياسة، ومنها هل أن منصب ابن دقيق العيد قد أثر على منهجه ومكانته كعالم اسلامي ؟ والسؤال الثاني هل أن مكانته كقاض للقضاة سمح له بالتدخل في كبح جماح أصحاب السلطة من الوزراء والنواب، أم أنه اكتفى بدوره في حل القضايا بين أفراد المجتمع دون التدخل بالسياسة ؟ والسؤال الاخر ما موقفه من قرارات السلطان المملوكي سيما في أوقات المعارك مع المغول، مثل فرض الضرائب على المجتمع ؟ كذلك فتاواه في أهل الذمة في مصر بعد سلسلة من الاضطرابات في تاريخ العلاقات بينهم وبين أفراد المجتمع المصري ؟ وأخيرا وليس آخرا موقفه من الخلافة العباسية في مصر ؟

هذه الاسئلة سنحاول الاجابة عنها بشئ من التفصيل وبالأدلة التأريخية من منابعها الرئيسة، وحسب ما توفر لنا من مصادر ذات العلاقة لنكون مادة تاريخية تتعلق بابن دقيق العيد ومكانته في المجتمع .

أولا ـ ابن دقيق العيد ومكانته العلمية

ـ السيرة الشخصية لابن دقيق العيد:

أ ـ اسمه ونسبه: تقي الدين أبو الفتح محمد بن أبي الحسن مجد الدين علي أبو العطايا وهب بن مطيع بن أبي طاعة القشيري[١]، المنفلوطي[٢]، القوصي[٣]، الصعيدي[٤]، القاهري[٥]، المصري، المالكي، الشافعي[٦]، المشهور بابن دقيق العيد[٧] .

أما عن سبب تلقبه بابن دقيق العيد فإن ذلك عائد الى جد والده، الذي كان يلبس يوم العيد طيلسان[٨] شديد البياض، فقال بعضهم معلقا كأنه دقيق العيد، فلقب به، وسرت هذه التسمية على والده ثم انتقلت اليه[٩] .

ب ـ ولادته :

لا خلاف في أن ولادة الامام ابن دقيق العيد كانت في يوم السبت الموافق الخامس والعشرين من شعبان لسنة **٦٢٥هـ / ١٢٢٧م** في البحر المالح عندما كان والداه متوجهين من قوص الى مكة المكرمة بساحل ينبع[١٠]، لذلك كان يكتب أحيانا بالثبجي ومعناه الوسط[١١].

ج ـ أسرته:

ينتسب ابن دقيق العيد لأسرة كريمة لها نسبها وتاريخها المعروف، فوالده مشهور بفقهه وعلمه في الحديث الشريف، أما أمه فهي من نسب عريق فهي بنت الامام تقي الدين بن المفرج الذي شدت اليه الرحال وقصده طلبة العلم[١٢] .

وعرف عن ابن دقيق العيد أنه كان لديه عشرة أولاد ذكور أسماهم على أسماء الصحابة (رضي الله عنهم) العشرة المبشرين بالجنة، فضلا عن ابنة له سماها رقية، وكان كثير التسري[١٣] .

ـ السيرة العلمية:

أ ـ رحلاته وشيوخه:

نشأ الامام ابن دقيق العيد منذ نعومة أظفاره في طلب العلم تحت رعاية والده العالم، وابتدأ حياته بقراءة القرآن العظيم حتى حصل منه على حظ جسيم، فقد كان على حالة واحدة من الصمت والاشتغال بالعلوم ولزوم الصيانة والديانة والتحرز في أقواله وأفعاله[١٤] .

لم يقتصر طلب ابن دقيق للعلم في بلده، بل تعداه الى بلدان متعددة ليوسع مدارك فكره وعلمه، وهذه صفة العلماء الذين يرحلون لطلب العلم، ففيها متعة العلم ولذته . فيمم وجهه

صوب دمشق وبعدها الى الاسكندرية ومن ثم الحجاز، فتلقى في هذه البلاد الحديث والفقه وسمع الكثير[١٥] . وممن سمع من العلماء وتتلمذ على أيديهم، الامام العز بن عبد السلام اذ قصده في القاهرة وأخذ عنه الاصول وفقه الامام الشافعي[١٦] . وطاف بالبلاد وحضر فيها مجالس الشيوخ وبلغ غايته في شتى أنواع العلوم [١٧] .

▪ شيوخه:

لم يكن ابن دقيق العيد بمعزل عن الشيوخ والدراسة عندهم، وهذا هو دأب العلماء العاملون يأخذون العلم من أصحابه مهما كانت صفته أو عمره أو مكانته الاجتماعية . وسوف نسلط الضوء على أبرز شيوخ ابن دقيق العيد حسب الفائدة وكثرة الاخذ منهم .

١. ابن المقير (ت ٦٤٣ هـ / ١٢٤٥ م): أبو الحسن علي بن الحسين بن علي البغدادي، الازجي المقري الحنبلي النجار، من أهل مصر مسند الديار المصرية، حدث عنه تلميذه ابن دقيق العيد [١٨]، فوصف بأنه كان **((شيخا صالحا كثير التهجد والعبادة والتلاوة، صابرا على أهل الحديث))** [١٩] .

٢. ابن رواج (ت ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م): أبو محمد رشيد الدين ظافر بن علي بن فتوح بن حسين الازدي الاسكندري، المالكي الجوشني، كان فقهيا فطنا، مع تدينه رجلا متواضعا وصحيح السماع [٢٠] . سمع منه ابن دقيق العيد، وهو من شيوخه الذين كثر الاخذ عنهم[٢١].

٣. بهاء الدين هبة الله (ت ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م): أبو القاسم بهاء الدين هبة الله بن عبد الله بن سيد الكل، من مشاهير علماء الصعيد إماما عاملا، قدم قوص وتفقه على الشيخ مجد الدين القشيري، وقرأ الاصول على القاضي شمس الدين الاصبهاني، وبرع في الفقه والنحو والفرائض، والجبر والمقابلة[٢٢] .

بلغ من علمه أن قصده الطلبة من كل مكان، حتى انتهت رئاسة العلم في إقليمه، وصنف الكثير في التفسير وغيره[٢٣] .

انتفع به ابن دقيق العيد، إذ كانت أوقاته موزعة ما بين القراءة والتدريس والتصنيف[٢٤].

وكان ابن دقيق العيد يجله كثيرا حتى أنه سافر الى قوص عندما سمع به أنه هناك حتى أنه كان يقول عنه **((لولا البهاء بالصعيد لتحرج أهله بسبب الفتيا))** [٢٥] .

٤. أبو الحسن بن الجميزي (ت ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م): أبو الحسن بهاء الدين علي بن هبة الله بن سلامة بن المسلم بن أحمد بن علي اللخمي الفقيه الورع المعروف بالديار المصرية[٢٦] . كان حافظا للقرآن الكريم منذ صغره، ورحل في طلب العلم الى دمشق وسمع بها صحيح البخاري، وقرأ القراءات العشر في بغداد، روى عنه ابن دقيق العيد كثيرا[٢٧] .

٥. زكي الدين المنذري (ت ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م): أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري الشافعي الحافظ الكبير الورع الزاهد[٢٨] . كان عالما بارعا في الفقه والعربية والقراءات[٢٩] ، ويروى عن تلميذه ابن دقيق العيد أنه قال في حقه **((كان أدين مني، وأنا أعلم منه))** [٣٠] .

٦. صائن الدين البغدادي (ت ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ م): أبو الحسن محمد بن الانجب بن أبي عبد الله بن عبد الرحمن الصوفي البغدادي النعال، شيخ صالح زاهد صائن للدين، حدث عنه جماعة من العلماء أبرزهم ابن دقيق العيد[٣١] .

٧. عز الدين بن عبد السلام (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م): أبو محمد عز الدين بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمد بن مهذب السلمي، سلطان العلماء[٣٢] .

أحد الائمة الاعلام تفقه منذ صغره وأخذ الاصول وسمع الحديث حتى برع في الفقه والاصول والعربية[٣٣] .

تفقه عليه ابن دقيق العيد وروى عنه وكان يقول في حقه **((كان ابن عبد السلام أحد سلاطين العلماء))** [٣٤] .

٨. مجد الدين القشيري (والده) (ت ٦٦٧ هـ / ١٢٦٨ م): شيخ الصعيد، كان جامعا لفنون العلم، موصوفا بالصلاح معظما في النفوس[٣٥]، ولا شك أن الافادة من والده كانت كبيرة بحكم ارتباطه به ولقضائه معظم الوقت معه، فأخذ عنه الحديث وتفقه عليه بمذهب الامامين مالك والشافعي (رحمهما الله) فضلا عن قراءته عليه الاصول[٣٦] .

٩. أبو العباس الدمشقي الحنبلي (ت ٦٦٨ هـ / ١٢٦٩ م): أبو العباس أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي الدمشقي الحنبلي، كان شيخا فاضلا يورق بالأجرة، وكتب الشي الكثير حتى أنه كتب بخطه تاريخ دمشق[٣٧] . كان مشهورا بعلمه في الحديث الشريف وله فيه تصانيف كثيرة، روى عنه ابن دقيق العيد الشيء الكثير[٣٨] .

١٠. شمس الدين الاصبهاني (ت ٦٨٨ هـ / ١٢٦٩ م): أبو عبد الله شمس الدين محمد بن محمود بن عباد القاضي الاصبهاني، كان إماما في المنطق والكلام والاصول، حريصا على تعلم العلم ورحل في ذلك الى بغداد وحلب واستقر به المقام في قوص[٣٩] .

أخذ عنه ابن دقيق العيد حين كان يدرس في قوص، فكان يحضر دروسه هناك[٤٠] .

ب ـ مذهبه:

بما أن والده كان مالكي المذهب، تأثر ابن دقيق العيد به وتفقه على والده في المذهب المالكي عندما كان في قوص، ثم ما لبث أن تفقه على يد شيخه عز الدين بن عبد السلام في المذهب الشافعي، فحقق المذهبين[٤١] . لذلك قال فيه العلامة محمد بن محمد المعروف بابن القوبع (ت ٧٣٨ هـ) من قصيدة [٤٢] :

صبا للعلم صبا في صباه فأعلن نهية الصب الصبي
وأتقن والشباب له لباس أدلة مالك والشافعي

اشتغل بالمذهبين وأفتى بهما،لأنه كان عارفا بهما الى أن تحول الى المذهب الشافعي فقال عن نفسه ((وافق اجتهادي اجتهاد الشافعي إلا في مسألتين أحديهما أن الابن لا يزوج أمه والأخرى وحسبك بمن يتنزل ذهنه على ذهن الشافعي))[٤٣] . والجواب على هذه المسألة أن الابن متفرع من أصلين، أحدهما أبيه ولا ولاية له في تزويج أمه ؛ والثاني أمه وما لها أن تزوج أبنها، فبطل أن يكون للابن ولاية في تزويج أمه[٤٤] .

ج ـ المناصب التي تقلدها:

من بين الامور التي تولاها ابن دقيق العيد هي توليه للقضاء، وتصديه للتدريس في المدارس المملوكية .

▪ توليه القضاء:

أول عمل رسمي قام به ابن دقيق العيد هو تولي قضاء مدينته (قوص) على مذهب الامام مالك، بعد أن طلب منه والي المدينة وكان عمره آنذاك (٣٧) عاما [٤٥]، وسبب ذلك عندما أشار أحد المقربين من السلطان المنصور حسام الدين لاجين (٦٩٦ – ٦٩٨ هـ / ١٢٩٦ –١٢٩٨ م) قائلا له **((هل أدلك على محمد بن ادريس الشافعي، وسفيان الثوري، وابراهيم بن أدهم؟ فعليك بابن دقيق العيد..))** [٤٦] . ولم يستقر في منصبه طويلا اذ تركه مرتحلا الى القاهرة، عندما أشار عليه أحد أصدقائه .

وبعد وفاة قاضي القضاة المصرية تقي الدين ابن بنت الاعز سنة **٦٩٥ هـ / ١٢٩٥ م**، سألوا ابن دقيق العيد أن يتولى القضاء لكنه رفض وبعد الحاح شديد عليه قبل القضاء في تلك السنة، بعد أن أخبروه أن هناك شخصان غير مؤهلين للقضاء سيحلون مكان ابن بنت الاعز إن لم تقبل[٤٧] .

بعدها أصبح كبير القضاة في مصر وكان يعزل نفسه ثم يعود لمنصبه خوفا من الاثم لما قبل بهذا المنصب، وكانت سيرته فيه محمودة[٤٨] .

كان شديد المحاسبة لنوابه في القضاء ويبالغ في وعظهم ويشترط عليهم أن لا يستتيبوا إلا من اشتهر عن معرفة الفروع[٤٩] . كذلك أرسل كتابا اليهم يدعوهم الى استشعار الامانة وعظم المسؤولية التي يحملونها، مذكرا إياهم بعواقب الرشوة، فضلا عن برأ ذمته من أي محالفة يقومون بها، وجعل هذا الكتاب حجة عليهم [٥٠] .

ويعد أول من غير خلع القضاة من الحرير الى الصوف [٥١]، وأول من عمل المودع الحكمي وقرر أن من مات وله وارث إن كان كبيرا قبض حصته، وإن كان صغيرا عمل المال في المودع، وإن كان للميت وصي خاص ومعه عدول يندبهم القاضي، لينضبط أصل المال على كل تقدير[٥٢] . استمر ابن دقيق في منصب القضاء لمدة ثمان سنوات لحين وفاته منذ تسنمه ذلك المنصب[٥٣].

▪ التدريس في المدارس المملوكية:

. **المدرسةالفاضلية:** انشأها القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني سنة **٥٨٠هـ / ١١٨٤م**في حارة الشوك بقسم الجمالية بالقاهرة، ورتب فيها دروساً للقراءات وفقه الشافعية

والمالكية، واوقف عليها نحو مئة الف مجلد في مختلف العلوم، وكانت هذه المدرسة من اعظم مدارس القاهرة واجلها[٥٤]. وكان لابن دقيق العيد اليد الطولى فيها من خلال تدريسه فيها على الشرطين ومعرفة الاصلين[٥٥] .

. **المدرسةالناصرية:** انشأها صلاح الدين الايوبي بجوار الجامع العتيق سنة **٥٦٦هـ/ ١١٧٠م**لتدريس الفقه الشافعي، وكان يدرس فيها الفقه الشافعي[٥٦] .

. **المدرسةالكاملية:** تقع هذه المدرسة بخط بين القصرين في القاهرة وتعرف بدار الحديث الكاملية، انشأها السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن الملك العادل ابي بكر بن ايوب في سنة **٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م**ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوي ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية[٥٧]. وكان لابن دقيق العيد دور فيها[٥٨] .

. **المدرسةالصالحية:** تقع هذه المدرسة بين القصرين بالقاهرة، انشأها المالك الصالح نجم الدين ايوب سنة **٦٣٩هـ/ ١٢٤١م**وانتهى من بنائها سنة **٦٤١هـ / ١٢٤٣ م**، وتتكون من اربع أروقة معاً، واحد لكل مذهب من المذاهب الاربعة، وهي اول مدرسة بمصر أُنشئت على هذا النمط، واوقف عليها اوقافاً كثيرة[٥٩]. وجعل الملك الصالح للمدرسة ايوانين يحتوي اولهما، على مدرستين للحنفية والحنابلة، والثاني على مدرستين للمالكية والشافعية ودرس فيها عدد من الفقهاء في المذاهب الاربعة[٦٠].

. **دارالحديث:** تقع بالقاهرة في درب سيف الدولة بالقرب من درب ملوخيا، أنشأها والي قوص، وكان لابن دقيق العيد الصدارة في هذه الدار[٦١] .

. **المدرسةالنجيبية:** تسمى بالمدرسة المنكلانية أنشأها الامير أقوش الصالحي النجمي مملوك الملك الصالح نجم الدين أيوب، في القاهرة [٦٢] .

. **المدرسةالمجديةالخليلية:** انشأها الشيخ مجد الدين عبد العزيز بن امين الدين الخليلي سنة **٦٦٣هـ / ١٢٦٤م** وقر بها مدرساً شافعياً ومعيدين وعشرين من الطلبة واماماً ومؤذناً واوقف عليها اوقافاً كثيرة[٦٣]. وبعد الانتهاء من بناء هذه المدرسة طلب من ابن دقيق العيد أن يدرس فيها، فقبل وكان أول من درس بها[٦٤] .

د ـ مؤلفاته:

تعددت مؤلفات ابن دقيق العيد في مختلف العلوم إذ قاربت الواحد والعشرين مؤلفا، منها: الاقتراح في بيان الاصطلاح وما أضيف الى ذلك من الاحاديث المعدودة من الصحاح، وشرح مختصر ابن الحاجب في فروع الفقه المالكي، والاربعين في الرواية عن رب العالمين، ومختصر التبريزي في الفقه الشافعي، والتشديد في الرد على غلاة التقليد[٦٥] .

هـ ـ تلامذته:

تخرج على يد العالم ابن دقيق العيد العديد من العلماء الذين يشار لهم بالبنان، ومن هؤلاء العلماء الذين نهلوا من علمه، **الكلاباذي** (ت ٧٠٠ هـ) من أهل بخارى، ورحل الى القاهرة ونهل هناك من العلوم[٦٦] . **وأبو الثناء** (ت ٧٢٥ هـ) من أهل حلب، قدم مصر والتقى بابن دقيق العيد وأخذ منه، واشتهر في مصر حتى أصبح يكتب التقاليد الكبار بلا مسودة[٦٧] . **وابن سيد الناس** (ت ٧٣٤ هـ) المشهور بكتابه في السيرة (عيون الاثر) وكان شغوفا بالعلم وتحصيله حتى ذاع صيته في ذلك[٦٨] .

وكان ملازما لشيخه ابن دقيق العيد وتخرج به[٦٩] . كذلك الامام **الذهبي** (ت ٧٤٨ هـ) وهو مما لا ينكر فضله وعلمه[٧٠]، فقد سمع من ابن دقيق العيد في مدينة القاهرة [٧١] .

و ـ وفاته:

بعد حياة قضاها في تحصيل العلم الشرعي وتدريسه له، مع الشهرة الفائقة بذلك ترجل ذلك العالم عن جواد العلم وانتقل الى جوار ربه في يوم الجمعة الموافق الحادي عشر من شهر صفر سنة **٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م**[٧٢] .

وكانت وفاته في بستان ظاهر القاهرة، وصلى عليه بسوق الخيل وحضر جنازته نائب السلطنة وبقية الامراء، حتى أن الجيش كان واقفا ينتظر الصلاة عليه، ودفن في يوم السبت في القرافة الصغرى بسفح المقطم وكان يوما مشهودا[٧٣] .

ي ـ آراء العلماء فيه:

لم يختلف على العالم الجليل ابن دقيق العيد بين علماء عصره والمتأخرين عنه، فكلهم مدحه وأثنى عليه نظرا لمكانته وزخارة علمه وكبير تواضعه . فقال عنه ابن رشيد[٧٤] **((الامام العالم العامل الصدر، مفتي المسلمين، شرف العلماء فخر الفضلاء، بقية المجتهدين))** .

وقال عنه الادفوي[٧٥] **((علامة العلماء الاعلام، رواية فنون الجاهلين وعلوم الاسلام، ذو العلوم الشرعية والفضائل العقلية، والفنون الادبية والمعارف الصوفية، والباع الواسع في استنباط المسائل، والاجوبة الشافعية لكل سائل ... إن ذكر التفسير فمحمد فيه محمود المذهب أو الحديث فالقشيري فيه صاحب الرقم المعلم والطراز المذهب، أو الفقه فأبو الفتح العزيز الامام الذي اليه الاجتهاد ينسب، أو الاصول فأين ابن الخطيبين من الخطيب .. لم يشغله في النظر في العلوم كثرة المناصب، ولا الهاه علو المراتب ولا صرفه عن التصرف فيه لذة المطاعم وعذوبة المشارب))** . كذلك وصفه السبكي[٧٦] بقوله **((ولم ندرك أحدا من مشايخنا يختلف في أن ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على رأس السبعمائة، المشار اليه في الحديث المصطفوي النبوي صلى الله على قائله وسلم، وأنه أستاذ زمانه علما وودينا))** . ونختم قول العلماء بما قاله السيوطي[٧٧] **((كان من أذكياء زمانه، واسع العلم مديما للسهر، مكبا على الاشتغال، ساكنا وقورا ورعا، إمام أهل زمانه حافظا متقنا، قل أن ترى العيون مثله))** .

ثانيا ـ مواقفه المتنوعة من السياسة المملوكية

نقصد بالاثر الذي أحدثه ابن دقيق العيد في السياسة المملوكية، مدى تأثيره وفعالية مواقفه وقوتها في التغيير نحو الاتجاه الصحيح . لذلك يمكن تصنيف المواقف التي اتخذها شيخ الاسلام ابن دقيق العيد حسب اختلاف الاحداث والقضايا التي شهدها وعاينها، فمن تلك المواقف ما كان ضد السلطة بأعلى مراتبها المتمثلة بالسلطان كقضية فرض ضرائب على عامة الشعب لتغطية نفقات قتال المغول، ومنها ما كان ضد نواب السلطنة ومحاولاتهم للاستئثار بالحكم دون السلطان كما حدث معلمنكوتمر في قضية تركة أحد التجار . ومنها ما اصطدم برغبات الوزراء وتطلعاتهم للنيل من القضاة لتحقيق رغبات شخصية كما حدث مع ابن السلعوس في قضية القاضي ابن بنت الاعز، ومنها ما كان ضد العواطف والاندفاعات من قبل بعض العلماء وعوام الناس في قضية نهب وحرق كنائس اليهود والنصارى .

بعد هذه المقدمة لمواقف شيخ الاسلام تجاه السياسة المملوكية، سوف ندرس كل موقف حسب التسلسل الزمني للأحداث وليس لأهميتها، حتى تبقى السلسلة التاريخية مستمرة ومتماشية مع الاحداث .

موقف ابن دقيق العيد من الوزير شمس الدين بن السلعوس:

قام وزير السلطان الاشرف خليل (٦٨٩ . ٦٩٣ هـ / ١٢٩٠ . ١٢٩٣ م)، شمس الدين بن السلعوس بعملية انقلاب على القضاء من خلال عزل القاضي ابن بنت الاعز، وذلك لكراهيته له لمواقف بن بنت الاعز من سياسة ابن السلعوس الذي كان تاجرا قبل توليه الوزارة، ولعل أبرز سبب في ذلك هو رفض القاضي ابن بنت الاعز تولية أحد المقربين من ابن السلعوس في نيابة الحكم سنة **٦٩٢هـ**، قائلا له **((ارجع الى الله تعالى ولا تثقل على بعد ذلك بأحد في ولايتك، واذهب واشتغل بالعلم، ولا ألقي الله وفي صحيفتي ولايتك))**[٧٨] .

فجاء ذلك من خلال عمل المكائد له ووصل به الامر الى من يشهد عليه الزور في أمور عظام بحيث وصل به الحال أن يحضر شابا حسن الصورة معترفا على نفسه بين يدي السلطان بأن القاضي قد لاط به، ولم يكتف بهذا الامر بل أحضر من شهد عليه أنه يحمل الزنار في وسطه[٧٩]، فأجاب القاضي مدافعا **((أيها السلطان كل ما قالوه يمكن، لكن حمل الزنار لا يعتمده النصارى تعظيما ولو أمكنهم تركه لتركوه، فكيف أحمله))**[٨٠] .

ومن شدة التهم الموجهة له من قبل الوزير، كان رد القاضي على سبيل التهوين من التهم، أنه يمكن أنه يعمل كل هذه التهم إلا في حالة أنه يبدل دينه ويكون نصرانيا [٨١].

ثم قام الوزير ابن السلعوس بعمل المحاضر التي تدلل على كفره، وأخذ تواقيع الجماعة على المحاضر ولم يبق إلا خط ابن دقيق العيد، الذي أرسل اليه المحاضر مع أحد النقباء وطلب منه أن يوقع عليه، فشرع ابن دقيق العيد يشرع يتأملها واحدا تلو الاخرى، والجميع ينتظر جواب ابن دقيق العيد، وتبين أنه كذب ورفض الكتابة، ولما لح عليه قال **((أنا ما أدخل في إراقة دم مسلم .. هم ما يدخلون الى السلطان ويقولون قد كتب فلان بما يخالف خطوط الباقين وإنما يقولون قد كتب الجماعة، وهذا خط ابن دقيق العيد فأكون أنا السبب الاقوى في قتله))** [٨٢] .

وموقف ابن دقيق العيد يدل على سعة علمه ورزانة عقله، فلم يلتفت الى ما قيل بحقه، بل اطلع على ما كتب مع علمه المسبق بسيرة القاضي الشهير ابن بنت الاعز، فليس كل ما قيل يصدق وليس كل ما دعي به وقع فعلا .

وعلى الرغم من رفض القاضي الفقيه ابن دقيق العيد في تحقيق الاتهام الموجه ضد القاضي ابن بنت الاعز، ووقوفه بوجه السلطة غير مبال في العقاب الذي يلحقه من ذلك، إلا أن إصرار الوزير ونفوذه القوي حال دون ذلك، فتقررت العقوبة على ابن بنت الاعز فجاء القرار الظالم بالمشي نزولا من القلعة الى الحبس، مع عزله عن القضاء، ولما علم أصحابه بمؤامرة الوزير، نام عنده أحد المشايخ، وبعد انتهاء مدة الحبس أقام بالقرافة وبعدها توجه نحو الحجاز خوفا من بطش الوزير ابن السلعوس[٨٣] .

وبقي هناك في الديار المقدسة يدعو على من ظلمه، وبعد سنة من عزله أي في سنة **٦٩٣هـ / ١٢٩٣م** توفي الوزير بن السلعوس، فقام السلطان الاشرف خليل بإعادته للقضاء مرة أخرى[٨٤] .

موقف ابن دقيق العيد من نواب السلطنة

في هذه المرحلة التاريخية تولى السلطنة حسام الدين لاجين (٦٩٦ . ٦٩٨ هـ/ ١٢٩٦ . ١٢٩٨ م) وولى نيابة مصر للامير سيف الدين منكوتمرالحسامي[٨٥]، الذي بدأ نيابته بمحاولة الاستئثار بالسلطة، ففي سنة **٦٩٧ هـ/ ١٢٩٧م** ادعى نائب السلطنة (منكوتمر) بأن أحد التجار مات وترك أخا له ولم يخلف غيره ممن يرثه وكان يريد أن يثبت استحقاقه للارث بمجرد هذا الادعاء، فما كان من موقف قاضي القضاة ابن دقيق العيد إلا أن رفض ذلك الادعاء، فتردد الرسل عليه ليقنعوه بذلك، وتحرج موقف منكوتمر فبعث اليه أحد الامراء يدعى كرت الحاجب [٨٦] وعند دخوله على القاضي وقف بعدما سلم، فقام له القاضي نصف قومة ورد عليه السلام وأجلسه، فأخذ كرت يتلطف بالقاضي في اثبات أخوة التاجر بشهادة منكوتمر، فقال له قاضي القضاة: **((وماذا ينبني على شهادة منكوتمر، قال له: يا سيدي ما هو عندكم عدل . فقال: سبحان الله ثم أنشد: يقولون هذا عندنا غير جائز، ومن أنتم حتى**

يكون لكم عند، وكرر ذلك ثلاث مرات، ثم قال: والله متى لم تقم عندي بينة شرعية ثبتت عندي وإلا فلا حكمت له بشيء باسم الله)) [٨٧] .

فقام كرت وهو يقول، والله هذا هو الاسلام، فعاد الى منكوتمر واعتذر اليه بعدم نجاح مهمته بإقناع القاضي، وأنه لا بد من اجتماعه بالقاضي عند مجيئه لدار العدل[٨٨]، وعند حضوره لدار العدل في اليوم المخصص تسارع اليه الحجاب يخبروه برغبة منكوتمر الشديدة للاجتماع به لخدمته، لكنه لم يلتفت لاحد منهم، ولما ألحوا عليه قال لهم **((قولوا له ما وجبت طاعتك علي والتفت الى من معه من القضاة وقال: أشهدكم أني عزلت نفسي باسم الله، قولوا له يول غيري))** [٨٩] .

وهذا يعطي انطباعا أن وظيفة القاضي ليست الفصل في الاحكام أو اعطاء الفتوى فحسب، وإنما هي الدفاع عن حقوق الناس وأخذها ممن اغتصبها، فهو ليس موظفا عند السلطان يأتمر بأمره، وهذا المنصب في نظره تكليف لا تشريف بدليل أنه رغم الاملاءات عليه لكنه تمسك بمبدأه ورفض ضغوطات نائب السلطنة في اثبات أخوه شخص ميت .

ولم يكتف بهذا الامر بل أنه بعث الى وكلاءه في الحكم وعقاد الانكحة يمنعهم من الحكم والانكحة، ولما بلغ ذلك الامر الى مسامع السلطان المنصور لاجين أنكر على منكوتمر ذلك الفعل وأرسل من ينوب عليه الى القاضي يعتذر اليه ويطلب اللقاء به، لكنه رفض وبعد الحاح شديد من أحد المشايخ جيء به الى السلطان وأجلس وأخذ يعتذر اليه ويتلطف به الى أن قبل الولاية على القضاء، وطلب منه أن يدعو لمنكوتمر الذي كان جالسا، فقال القاضي: **((منكوتمر لا يجئ منه شيء وكررها ثلاثا وقام))**[٩٠] .

مشاركة ابن دقيق العيد في معركة الخازندار(٩١) سنة ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩ م

كما هو معلوم أن المماليك قد هزموا المغول في معركة عين جالوت سنة **٦٥٨هـ**، لكن ذلك لم يمنع المغول من اعادة الكرة على بلاد الشام للثأر من تلك المعركة . وتبع ذلك أن الاوضاع الداخلية في دولة المماليك لم تكن مستقرة بسبب الصراع على السلطة بعد مقتل السلطان لاجين ،وهروب عدد من الامراء الى مغول فارس، وانتهت الازمة بعودة السلطان الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٨ . ٧٠٨ هـ / ١٢٩٨ . ١٣٠٨ م) للمرة الثانية على كرسي السلطنة، وتم مراسلة الامراء بالعودة الى ديارهم بعد انتهاء الازمة لكنهم رفضوا ذلك.

لذلك تشجع المغول في استكمال مشروعهم العسكري بوجود بعض الامراء المنشقين للهجوم على الشام، فقد وردت الأخبار في هذه السنة بأن غازان خان[٩٢] قد سير جيشاً فيه جموع من المغول والكرج[٩٣] وغيرهم وعبروا الفرات حتى وصلوا إلى حلب ثم حماه ثم إلى وادي مجمع المروج في حمص[٩٤] .

وقبل بدء القتال قام الامير سلار نائب السلطنة برفقته الحجاب والامراء والفقهاء بالمرور على الجيش، ومن بينهم الشيخ ابن دقيق العيد يوجهون إرشادهم ووعظهم، باعتباره قاضي القضاة ولدوره في رفع معنويات الجيش وتقوية عزائمهم، حتى كثر البكاء من تلك الموعظة وتقوية العزيمة[٩٥] .

فسارت الجيوش الإسلامية بقيادة السلطان الناصر محمد بن قلاوون في ولايته الثانية (٦٩٨-٧٠٨هـ / ١٢٩٨ . ١٣٠٨ م) إلى ملاقاة المغول، فوصلوا إلى ظاهر حمص ثم ساروا إلى جهة المجمع في شرق حمص على نصف مرحلة من حمص، وهناك التحق الأمراء المنشقين[٩٦] بجيش غازان . فما كان من ميسرة المسلمين إلاّ أن تهاجم بشدة ميمنة المغول فهزمتها حتى قيل أن عدد قتلى المغول عشرة آلاف[٩٧].

وعلى الرغم من المبالغة في عدد القتلى إلاّ أنها تشير إلى كثرة القتلى فيهم، لكن غازان تنبه لخطورة الأمر وما حل بميمنته قرر الاعتزال بعدد من فرسانه بعيداً عن أجزاء الجيش المتواجد في ساحة المعركة، وساعده في تنفيذه مهمته الأمراء المنشقين عن السلطان[٩٨] .

وفي ظل هذه المتغيرات هاجم جيشه القوات الإسلامية فانهزمت ميمنة المسلمين والميسرة ولم يثبت منها إلاّ القلب، ولم يزل فرسان المغول بقوات القلب إلى أن كسروهم وتعقبوهم بالضرب والقتل، ولما رأى أهالي حمص ما حل بالجيش الإسلامي وهم في مدينتهم يقتتلون، ابتهلوا بالدعاء إلى الله سبحانه ونادوا **((يا مسلمون الرجعة الرجعة لا تسلمونا إلى العدو فتباكوا وبكى السلطان الناصر))**[٩٩] .

وكانت النهاية أن الجيش الإسلامي تمت به الهزيمة إلى الديار المصرية وتبعهم المغول الذي استولوا على دمشق **((وساقوا في أثر الجفال إلى غزة والقدس وبلاد الكرك وسبوا وغنموا من المسلمين الجفال شيئاً عظيماً))**[١٠٠] .

- موقفه من المشروع المملوكي في فرض ضرائب على الشعب لمقاتلة المغول

بعد تلك الهزيمة قام السلطان الملك الناصر بن قلاوون بجمع شتات الجيش وتطويه آخرين فيه، مع جمع مختلف الاسلحة، وعلى الرغم من ذلك بقي الجيش بحاجة ماسة للمال للإنفاق على تلك الجيوش، لذلك قام نائب الحسبة (مجد الدين عيسى بن الخشاب) بأخذ الفتوى من الفقهاء لفرض ضرائب على عموم الشعب المصري، واستشهد بفتوى سابقة للشيخ العز بن عبد السلام التي أصدرها للسلطان قطز في معركة عين جالوت[١٠١].

لكن نائب السلطنة (سلار) قرر أن يأخذ الفتوى من قاضي القضاة آنذاك ابن دقيق العيد بشأن فرض الضرائب، فعمل اجتماع لذلك بحضور الامراء وشرح له وضع الجيش وحاجتهم الماسة للمال، فطلب منه الموافقة على اصدار فتوى تجيز أخذ الاموال من الرعية للجهاد ضد المغول، الذين عاثوا في الارض الفساد، وعلى الرغم من ذلك نجد أن ابن دقيق العيد حازما صلبا لا تهزه العواطف متمسكا بآرائه الفقهية المستنبطة من أصول الاسلام بعيدا عن الحيل في الدين، فرفض ذلك الطلب، وعندما احتج ابن الخشاب بفتوى العز بن عبد السلام أجابه الشيخ ابن دقيق العيد بأن فتوى الشيخ كانت بشروط كما تم توضيحها، ورد عليهم بقوله **((أما أنا فأنه يبلغني أن كل أمير يجهز بنته بأنواع اللؤلؤ والفصوص، ويعمل بكالي فضة لبيت الماء، وقباقيب مكللة بأصناف الجواهر، وتريد مني أن أكتب فتوى على ما لا يحل))** [١٠٢] .

وكان رد شيخ الاسلام عليهم بهذه الفتوى لها مقصدها، ذلك أن في هذه الظروف قد جهز كلا من سلار وبيبرس ابنتيهما لحفلة زواجهما بما لا يوصف ولا يضبط، لذلك عرفا مقصده ومناسبة قوله لهما هذه الفتوى[١٠٣] .

موقف ابن دقيق العيد من امتداد أيدي العامة الى كنائس اليهود والنصارى سنة(٦٩٩هـ)

كان موقف سلاطين المماليك من أهل الذمة في مصر يتمثل بالتسامح والعدالة، وفسح المجال أمامهم لأخذ حريتهم شريطة أن لا تتعارض مع تعاليم الاسلام، وتمتعوا بالعيش بكل

أمان وحرية، ذلك أن المماليك طبقوا فيهم ما أقره الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فيهم التي عرفت بالوثيقة العمرية التي حددت ما عليهم من واجبات وما لهم من حقوق .

وبقي الامر كذلك الى أن تم تشديد الامر عليهم نتيجة توسعهم على حساب المسلمين، الامر الذي أدى الى تصاعد حدة الغضب ضدهم، فكانت وقعة أهل الذمة في القاهرة لما ازداد ترفهم وتفننوا في ركوب الخيل والبغلات الرائعة، ولبس الثياب وتولية الاعمال الجليلة، ووافق ذلك ورود سفارة مغربية من قبل السلطان المريني يوسف بن يعقوب (٦٨٥ . ٧٠٦ هـ / ١٢٨٦ . ١٣٠٦ م) محملة بالهدايا للسلطان المملوكي الناصر قلاوون التي فيها أنواع الطرف وأصناف الذخائر ولاسيما الخيل والبغال، وكانت السفارة برئاسة الوزير علاء الدين أيدغديالشهرزوري، فرأى رجلا راكبا فرسا والناس من حوله يتوسلون به وهو معرض عنهم، فلما عرف أنه نصراني شق عليه واجتمع بالأميرين (بيبرس، وسلار) وأظهر انكاره الشديد فضلا عن بكائه وخاطبهم قائلا **((كيف ترجون النصر والنصارى تركب عندكم الخيول وتلبس العمائم البيض وتذل المسلمين وتشبههم في خدمتكم))** [١٠٤] .

بعد الاجتماع بالوزير المغربي، عقد مجلس موسع ضم الحكام والقضاة والفقهاء للتداول في هذ الحادثة، وتمخض عنه صدور مرسوم سلطاني يحمل أهل الذمة على ما يقتضيه الشرع، فألبس اليهود العمائم الصفر والنصارى الزرق، ومنعوا من ركوب الخيل، وعدم استخدامهم في ديوان السلطان والامراء، حتى اضطر الحال ببعض النصارى أن يسلموا حرصا منهم على بقاء رئاستهم وأنفة من لبس العمائم الزرق[١٠٥].

وكان هذا الاعلان مشجعا للعامة في امتداد أيديهم الى كنائس اليهود والنصارى بهدمها مستندين بذلك الى فتوى الشيخ نجم الدين أحمد بن محمد بن الرفعة، وإزاء ذلك طلب الرأي الصائب في حال هذه الكنائس من أهل الحل والعقد، فكان جواب الشيخ ابن الرفعة بوجوب هدمها، لكن جاء الصوت المؤثر والعقل المتفكر من ابن دقيق العيد بالرفض التام للهدم محتجا بذلك قائلا **((اذا قامت البينة بأنها أحدثت في الاسلام تهدم، وإلا فلا يتعرض لها، ووافقه البقية على هذا وانفضوا))** [١٠٦] .

وهذا الموقف يعبر عن الفهم العميق والتبحر في جزئيات الشريعة الاسلامية السمحاء، وهو بهذا الموقف لا يعد خنوعا أو لينا تجاه اليهود والنصارى، بل تطبيقا لتعاليم الاسلام وتبيانه حتى للأعداء واعطائهم حقوقهم التي أقرها لهم .

موقف ابن دقيق العيد من تصفية فتح الدين البققي

في موقف آخر يقف ابن دقيق العيد موقفا شجاعا ضد السلطة في تنفيذ حكم الاعدام بحق فتح الدين أحمد بن محمد البققي، الذي كانت لديه سقطات كثيرة منها أنه ينكر على من يصوم شهر رمضان، وكان جريئا بلسانه مستخفا بالقضاة، حتى أنه تجاوز على ابن دقيق العيد في مسألة تباحثا فيها، عندها قال ابن دقيق العيد لابن سيد الناس **((يا فتح الدين عقبى هذا الرجل التلف))** [١٠٧] .

ومما زاد الامر تعقيدا أنه قام بالوقيعة في حق قاضي القضاة المالكية علي بن مخلوف بن ناهض النويري (ت ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م)، الامر الذي دعاه الى كتابة محضر يثبت فيه الانحلال وأشهد عليه الشهود بقتله، وطلبوا من ابن دقيق العيد أن يثبت هذا المحضر فأجاب بكل عزيمة وثبات **((لا أثبت على رجل يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، كفرا ورماه من يده))** [١٠٨] .

ورغم ذلك إلا أن ابن مخلوف أصر على موقفه بإعدام فتح الدين، فتوسط جماعة له من أجل تخفيف الحكم فكتبوا محضرا يثبت فيه أنه مجنون، فتوقف عليه ابن دقيق العيد وأجابهم قائلا **((ما نعرفه إلا رجلا عاقلا))** [١٠٩] .

وهو بهذا الموقف يؤكد على مبدأه سواء مع السلطان أم ضده، غير مبال بنتائج ذلك وتطوراته، ولما تبين لهم موقف ابن دقيق العيد الرافض للانتقام بشتى الوسائل والحيل، أصروا على قتله بقطع رأسه[١١٠] .

موقفه من اختيار السلطان المنصور لاجين للمستكفي (٧٠١ ـ ٧٤٠ هـ / ١٣٠١ ـ ١٣٣٩ م) خليفة للمسلمين

كما هو معلوم أن المماليك هم من أحيا الخلافة العباسية في مصر، وكانت لهم كلمة الفصل في تمشية أمور الدولة، مع وجود الخليفة العباسي الذي كان وجوده شرفي يعطي يضفي طابع الشرعية لحكم المماليك .

وقبل وفاة الخليفة العباسي الحاكم بأمر الله (٦٦١ . ٧٠١ هـ / ١٢٦٢ . ١٣٠١ م) أوصى بالخلافة لولده أبي الربيع سليمان، ثم لما حصلت وفاته تطلب اقرار ذلك لدى قاضي القضاة تقي بن دقيق العيد، فقام السلطان المنصور لاجين باستشارته حول شرعية توليه الخلافة بسبب أن عمره كان آنذاك لا يتجاوز العشرين سنة، والمشكلة الثانية أن الحاكم قد عهد بالخلافة لابنه الاكبر محمد ولقبه بالمستمسك بالله وجعل سليمان بعده، فلما مات المستمسك في حياة أبيه حزن عليه فعهد لابنه من بعده ابراهيم بن محمد . بمعنى أن هناك عارضان الاول مشكلة العمر، والثانية منازعة بن أخيه ابراهيم بالخلافة الذي هو أسن منه[١١١].

فكان جواب القاضي بالجواز وأشار الى صحة استخلافه، لان عمره يؤهله لذلك باعتباره سن الرشد، وقضية منازعة ابن أخيه فلا حق له لان ولاية العهد للابن دون ابن الاخ، ولان عهد سليمان سابق على عهد ابراهيم، بعدها أمضي عهد الوالد وأصبح خليفة للمسلمين وخطب له يوم الجمعة بجامع دمشق وكتب له تقليد بالخلافة[١١٢] .

وهذا يعني أن الطرف المؤيد لخلافة المستكفي هم السلطان لاجين وحاشيته من الامراء والنواب، والطرف المعارض هو ابن أخ المستكفي، لذلك حسم شيخ الاسلام الخلاف لصالح المستكفي، وبهذه الفتوى أصبح المستكفي خليفة للمسلمين، وتركت أثرا على عامة الناس من خلال مبايعته .

الخاتمة

بعد هذا العرض المتعلق بشيخ الاسلام بن دقيق العيد ومواقفهمن السياسة المملوكية ، تبين لنا الاتي:

. يعد شيخ الاسلام ابن دقيق العيد نتاج عصره العلمي الذي برع فيه وأبدع، فكان ذلك العصر بحق العصر الذهبي المكمل للعصور الاسلامية المنصرمة، فنال منه مختلف العلوم على يد كوكبة من مشاهير عصره .

. كان لتحقيق ابن دقيق العيد مذهبين في آن واحد، أثر على مستقبله الفقهي الذي تنوع بتنوع المواقف والاحداث التي مر بها .

. جاءت مواقف ابن دقيق العيد معبرة عن طموحات الفئة المظلومة التي لا تجد لها نصيرا الا مثل هؤلاء الفقهاء في وقت المحن .

. لو انعمنا النظر في مواقفه من تلك السياسة لوجدنا فيها فقها ممزوجا بطبيعة العصر وتعدد وسائل المجابهة ضد السلطة، ففي الحالة الاولى كان نصيرا ضد وزير السلطان رغم معرفته بما سيؤدي ذلك الموقف من نتائج سلبية في حقيقة الامر.

. وكان موقفه الثاني الرفض القاطع ليكون شاهد زور على قضية لم تقع أصلا، مجرد تحقيق نائب السلطنة أغراضه واطماعه، فكان الموقف هي الاستقالة احتراما لمنصب القضاء وهيبته من تلك التجاوزات .

. وفي وقت الشدائد نجده بنفس الموقف لا حياد عنه، عندما أراد السلطان فرض ضرائب على الناس لتغطية الحرب ضد المغول، لم يكن رفضه لأساس الفكرة بل لعلمه بما تحويه خزائن المسؤولين ما يكفي لسد نفقات المعركة .

. ولم تكن للعاطفة يوما في عمله والتأثير على قراراته، فعندما كان عامة الناس باتجاه حرق كنائس اليهود والنصارى، بل وبعض فتاوى علماء عصره، خرج اليهم بفتوى صريحة لا غموض فيها بأنها تبقى على حالها كما جاء في ذلك تطبيقات المسلمين الاوائل .

. كذلك نجده شاهدا على صحة الخليفة العباسي في مصر بحسب ما وقع له من صحتها، وليس لتحقيق رغبات السلطان، فكل مواقفه تشهد أنه كان صارما بمواقفه حتى مع السلطان .

ـوأخيرا وليس آخرا على الرغم من قلة المواقف المتخذة من قبله في ظاهرها، لكنها كانت كبيرة وعظيمة في حقيقتها، فهذه المواقف كانت منهج حياة العلماء ومن بعدهم، لتكون حقيقة وجودهم هو قول الحق مهما كلفهم ذلك .

ملحق

وصية ابن دقيق العيد لنوابه من القضاة

تنبه أيها القاضي لما أنت فيه من الاخطار، وطب نفسا اذا حكمت بحق تعلم لله تعالى، وإلا فلا، وأعلم أن الحلال بين وهو الذي تجده منصوصا عليه في كتاب الله تعالى وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم)، أو مجمعا عليه، أو عليه دليل حيد غير ذلك من سائر

الادلة الراجعة الى الكتاب والسنة، بحيث ينشرح صدرك لأنه حكم الله تعالى . فهذا حكمك به عبادة تثاب عليه ؛ وينبغي لك أن تقصد به وجه الله تعالى، فلا يكون حكمك به لمخلوق، ولا لغرض من أغراض الدنيا، فبذلك تكمل العبادة فيه، وتنال الاجر من خالقك .

وان حكمت به لغرض من أغراض الدنيا صح الحكم، ولكن لا يكون لك فيه أجر . وما سوى هذا فهو على درجات: إحداها أن تحكم بذلك من غير قصد القربة، ولا غرض من الاغراض الدنيوية فهذا خير من القسم الذي قبله، الذي قصد به غرض دنيوي، ولكنه يظهر أيضا أنه لا أجر فيه ؛ لعدم قصد القربة . وأعلم أنا لا نشترط وجود قصد القربة عند الحكم، بل نكتفي به في أصل ولاية القضاء، لأنه قد يشق استحضاره في كل حكم، فنكتفي به عند الدخول في أوله، كما اكتفى بنية المجاهد في أول خروجه .

الرتبة الثالثة أن يكون الحكم مختلفا فيه، وحصل ما يجوز الاقدام على الحكم به من الادلة الشرعية مع احتمال يمنع من انشراح الصدر له الانشراح الكلي، فهذا جائز والاجر فيه دون القسم المجمع عليه ؛ لان المصلحة في المجمع عليه أتم، فالعبادة فيه أكمل وان كان لا تقصير في هذا .

الرتبة الرابعة: أن تحصل شبهة تمنع من غلبة الظن بأن ذلك حكم الله تعالى، فلا يحل الحكم . الرتبة الخامسة: أن يعتقد أنه خلاف حكم الله تعالى، فلا يحل له الحكم، وان كان بعض العلماء قال به .

الرتبة السادسة: أن يكون مجمعا على أنه ليس يحكم لله تعالى، فلا يحل الحكم . وهذه المراتب الثلاث عدم الحل فيها مرتب ترتيبا لا يخفى، واعم أن المرتبة الخامسة والسادسة ما أظن أحدا يقدم عليهما ان شاء الله تعالى . والمرتبة الرابعة قد تكون عند قيام الشك ومخالجة الاحتمال، قد تسول لك نفسك أو الشيطان أو أحد من الناس الاقدام على الحكم لغرض من الاغراض، ويسهل عليك لأنك لم تجزم بالتحريم فإياك أن تقدم على الحكم فتدخل في قوله (وقاض قضى بالحق وهو لا يعلم) فإذا كان الذي قضى بالحق وهو لا يعلم في النار، فالذي قضى وهو لا يعلم والمقضي به متردد بين الحق والباطل كيف يكون حاله ؟ وفي هذ المرتبة تجد كثيرا من اخوان السوء يسولون لك الحكم، فإياك ثم اياك، واستحضر

بقلبك غدا يوم القيامة اذا انتصب الجبار لفصل القضاء، وجيء بالنبيين والشهداء، وجيء بك يا مسكين وأنت كالقمحة بل كالذرة بين أرجل الناس بل أقل من ذلك، وفي ذلك الموقف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي أنت نائيه، وقد بلغك شريعته، وجبريل الذي نزل بها عليه، ورسل الله تعالى وأنبياؤه وملائكته والصديقون والشهداء كالسراج المضيئة في ذلك المشهد بين يدي الله تعالى . وسألك الله تعالى بغير واسطة بينك وبينه: لم حكمت في هذا الامر ؟ ومن بلغك عني هذا ؟ ونظرت يمينا وشمالا فلم تجد هناك سلطانا ولا أميرا ولا كبيرا ممن سول لك ذلك الحكم . ورأيت نفسك غريبا حقيرا وحيدا، ونظرت الى النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو المقدم في ذلك المشهد العظيم الذي ترجو شفاعته، وقد حكمت بغير شريعته، كيف يبق وجهك معه ؟ أو كيف يبق حالك عنده ؟ وسائر الانبياء والرسل والملائكة وأهل ذلك الموقف من الصالحين ينظرون اليك، والله تعالى ينظرك، هل ينفعك ذلك الوقت أحد من أهل الدنيا أو مال أو جاه، أو غير ذلك ؟ كلا واله لا ينفع، فانظر يا مسكين هذا الوقف فما علمت أنه ينجيك لا تستحي بسببه فيه، فافعله، وما سوى ذلك كن منه على حذره، ولو طلبه منك أكبر ملوك الارض بملئها ذهبا . وان قيل لك: قد يكون توقفك تركا للحكم الواجب، ف قل انما يكون واجبا اذا ظهر، وعند الشك لا، واذا دار الامر بين الترك مع الشك والاقدام، كان الترك أسهل، لأنه أخف وأقل جرأة، فهذا الذي تيسر ذكره مما أوصيتك به أيها القاضي [١١٣].

هوامش البحث:

(١)القشيري: نسبة الى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهي قبيلة عربية كبيرة ينسب إليها الكثير من العلماء . ابن الاثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م): اللباب في تهذيب الانساب، مكتبة المثنى (بغداد: د . ت)، ج ٣، ص ٣٧ .

(٢)المنفلوطي: بفتح الميم وسكون النون ثم فاء مفتوحة، بلدة بالصعيد في غربي النيل بينها وبين شاطئ النيل بعد . ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م): معجم البلدان، دار صادر (بيروت: ١٩٧٧ م)، ج ٥، ص ٢١٤ .

(٣)قوص: مدينة كبيرة عظيمة واسعة، تعد قصبة صعيد مصر بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوما، وهي شرقي النيل في الاقليم الاول . المصدر نفسه، ج ٤، ص ٤١٣ .

(٤)الصعيدي: نسبة الى الصعيد وهو ناحية بمصر جنوب الفسطاط، يكتنفها جبلان، والنيل يجري بينهما . القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر (بيروت: د . ت)، ج ١، ص ٢١٣ .

(٥)القاهري: ذلك أنه تعلم في القاهرة ونزل بها وتوفي فيها . التجيبي، القاسم بن يوسف (ت ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م): برنامج التجيبي، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب (ليبيا: ١٤٠١ هـ)، ص ١٤٣ .

(٦)الشافعي: سمي بذلك لأنه تفقه على والده الذي كان مالكي المذهب، ثم تحول الى المذهب الشافعي، فحقق المذهبين . زين الدين، عبد الرحيم بن الحسين (ت ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣ م): نظم كتاب الاقتراح لابن دقيق العيد، تحقيق أبو الفضل عبد القادر عابدي، دار ابن حزم (١٤٢٧ هـ)، ص ٢٣.

(٧)الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م): ذيل تاريخ الاسلام، تحقيق مازبن سالم باوزير، دار المغني، ص ٢٥٣ ؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م): طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٤٢٣ هـ)، ص ٥١٦ .

(٨) طيلسان: ضرب من الأكسية وذكر أنه لباس فارسي، وهو عبارة عن كساء مدور أخضر لحمته أو سداه من صوف يوضع فوق الكتف أو فوق الرأس ويتدلى على الجبين فيغطي نصف الوجه . رشدي، صبيحة رشيد: الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية، الناشر مؤسسة المعاهد الفنية، مطبعة علاء (بغداد: ١٩٨١)، ص٧٢ .

(٩)الادفوي، كمال الدين أبي الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م): الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد، مطبعة الجمالية (القاهرة: ١٣٢٩ هـ)، ص ٣٣٧ .

(١٠)ينبع: يقع بين مكة والمدينة، وهي بلاد بني ضمرة . البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، ط ٣ (بيروت: ١٤٠٣ هـ)، ج ٤، ص ١٤٠٢ .

(١١)الصفدي، صلاح الدين خليل بن آيبك (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م): أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر (دمشق: ١٤١٨ هـ)، ج ٤، ص ٥٨٠ .

(١٢)الادفوي، الطالع السعيد، ص ٥٧١ .

(١٣)الصفدي، الوافي، ج ٤، ص ١٣٨ .

(١٤)الادفوي، الطالع السعيد، ص ٣١٩ .

(١٥)الاسنوي، جمال الدين عبد الرحيم (ت ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م): طبقات الشافعية، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، ط ١ (بيروت: ١٤٠٧ هـ)، ج ٢، ص ١٠٣ .

(١٦)الادفوي، الطالع السعيد، ص ٥٧٥ .

(١٧)المصدر نفسه، ص ٥٧٥ .

(١٨)ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، ط ٢ (بيروت: ١٣٩٩ هـ)، ج ٥، ص ٢٢٣ .

(١٩)الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣ (بيروت: ١٤٠٥ هـ)، ج ٢٣، ص ٧٩ ؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار أحياء التراث العربي (بيروت: ١٣٢٠ هـ)، ج ٤، ص ١٣٨ .

(٢٠)الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٢٣، ص ٢٣٧ .

(٢١)الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م): فوات الوفيات، تحقيق د . إحسان عباس، دار صادر (بيروت: د . ت)، ج ٣، ص ٤٤٣ .

(٢٢)السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م): طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد، دار إحياء الكتب العربية، ط ١ (القاهرة: ١٣٤٤ هـ)، ج ٨، ص ٣٩٠ .

(٢٣)السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (مصر: ١٣٨٧ هـ)، ج ١، ص ٢٤٠ .

(٢٤)ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٥، ص ٤٣٩ .

(٢٥)السبكي، طبقات الشافعية، ج ٨، ص ٣٩١ .

(٢٦)الذهبي، أسماء من عاش ثمانين سنة بعد شيخه أو بعد سماعه، تحقيق عواد الخلف، مؤسسة الريان (١٤١٨ هـ)، ص ٩٨ .

(٢٧)السبكي، طبقات الشافعية، ج ٨، ص ٣٠١ .

(٢٨)الصفدي، الوافي، ج ١٩، ص ١٠ .

(٢٩)ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٥، ص ٢٧٧ .

(٣٠)السبكي، طبقات الشافعية، ج ٨، ص ٢٦٠ .

(٣١)الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٣٤٣ .

(٣٢)لقب بهذا اللقب من قبل تلميذه ابن دقيق العيد الذي روى عنه بكثرة وذلك لشهرته في علمه حتى فاق الاقران . السبكي، طبقات الشافعية، ج ٨، ص ٢٠٩ .

(٣٣)السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٣١٤ .

(٣٤)السبكي، طبقات الشافعية، ج ٨، ص ٢١٤ .

(٣٥)السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٤٥٧ .

(٣٦)الاسنوي، طبقات الشافعية، ج ٢، ص ١٠٢.

(٣٧)العقيلي، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م): بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر (بيروت: د . ت)، ج ٢، ص ٩٦٤.

(٣٨)الصفدي، نكث الهميان في نكت العميان، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٤٢٨ هـ)، ص ٧٦.

(٣٩)السبكي، طبقات الشافعية، ج ٨، ص ١٠٠.

(٤٠)المصدر نفسه، ج ٨، ص ١٠٢.

(٤١)المصدر نفسه، ج ٩، ص ٢١٠.

(٤٢)ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م): الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، دار الجيل (بيروت: ١٩٩٣ م)، ج ٤، ص ١٨٤. في بقية المصادر (فأعل بهمة) مثلا ينظر الصفدي، الوافي بالوفيات ؛ السبكي، طبقات الشافعية .

(٤٣)الصفدي، الوافي، ج ٤، ص ١٣٨ . وهذه النقاط الثلاثة في النص وجدتها كما هي وهي بياض .

(٤٤)الصفدي، أعيان العصر، ج ٤، ص ٥٨١ .

(٤٥)السبكي، طبقات الشافعية، ج ٩، ص ٧٦ .

(٤٦)المصدر نفسه، ج ٩، ص ٧٦ .

(٤٧)الاسنوي، طبقات الشافعية، ج ٢، ص ١٠٣.

(٤٨)ابن حجر العسقلاني، رفع الاصر عن قضاة مصر، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي (القاهرة: ١٤١٨ هـ)، ص ٣٩٦.

(٤٩)الاسنوي، طبقات الشافعية، ج ٢، ص ١٠٣.

(٥٠)العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ٣١٩ .
(٥١)ابن حجر العسقلاني، رفع الاصر، ص ٣٩٦.
(٥٢)الدوري، قحطان عبد الرحمن: الاقتراح في بيان الاصطلاح وما أضيف الى ذلك من الاحاديث المعدودة من الصحاح، دار العلوم (الاردن: ١٤٢٧ هـ)، ص ١٤٠.
(٥٣)ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٦.
(٥٤) الاسنوي، طبقات الشافعية، ج ١، ص ١٥ .
(٥٥) الادفوي، الطالع السعيد، ص ٣٣١ .
(٥٦) المصدر نفسه، ص ٣٣١ .
(٥٧) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، الناشر مكتبة الآداب (القاهرة: د.ت)، ج ٢، ص ٣٧٥ .
(٥٨) ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٦، ص ٥ .
(٥٩) ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩ م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط١ مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة: ١٩٥٦م)، ج ٦، ص ٣٤١ .
(٦٠) المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٣٧٤ – ٣٧٥ .
(٦١) الادفوي، الطالع السعيد، ص ٣٣٦ .
(٦٢) بدران، عبد القادر بدران (ت ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م): منادمة الاطلال ومسامرة الخيال، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الاسلامي (بيروت: ١٤٠٥ هـ)، ص ١٥٠ .
(٦٣) ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدم العلائي (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦ م): الانتصار لواسطة عقد الأمصار، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة (بيروت: د. ت)، ج ١، ص ٩٦ .
(٦٤) الاسنوي، طبقات الشافعية، ج ٢، ص ١٠٣ .
(٦٥) التجيبي، برنامج التجيبي، ص ١٤٣؛ ابن حجر، رفع الاصر، ٣٩٦ ؛ البغدادي، إسماعيل باشا محمد أمين (ت ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م): هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار احياء التراث العربي (بيروت: د . ت)، ج ٣، ص ١٤٠ .
(٦٦)الحنفي، محيي الدين عبد القادر بن محمد (ت ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م): الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق د.عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢ (القاهرة: ١٩٩٣ م)، ج٢، ص ١٦٣ .
(٦٧) الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (ت ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م): ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان، مكتبة العبيكان (الرياض: ١٤٢٥ هـ)، ج ٤، ص ٤٦٠ .

(٦٨) الصفدي، أعيان العصر، ج ٥، ص ٢٠١ .
(٦٩) السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٣٥٨.
(٧٠) السبكي، طبقات الشافعية، ج ٨، ص ٢٨٩ .
(٧١) الصفدي، أعيان العصر، ج ٥، ص ٢٠١ .
(٧٢)أبو الفدا، عماد الدين أسماعيل بن علي (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م): المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، ط١ (القاهرة: د . ت)، ج ٤، ص٥٠ .
(٧٣)الادفوي، الطالع السعيد، ص ٣٣٨ ؛ الاسنوي، طبقات الشافعية، ج ٢، ص ١٠٤ ؛ ابن كثير، ابن كثير، عماد الدين أسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م): البداية والنهاية، تحقيق د . عبد الله بن عبد المحسن، هجر للطباعة والنشر، ط١ (القاهرة: ١٩٩٧ م)، ج ١٨، ص ٣١.
(٧٤)أبو عبد الله محمد بن عمر (ت ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م): ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة التي الى الحرمين مكة وطيبة، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الاسلامي (بيروت: ١٤٠٨ هـ) ، ج ٥، ص ٣٢٥ .
(٧٥)الطالع السعيد، ص ٣١٧ .
(٧٦)طبقات الشافعية، ج ٩، ص ٢٠٩ .
(٧٧)طبقات الحفاظ، ص ٥١٦ .
(٧٨)العيني، عقد الجمان، ج ٣، ص ١٧٢ .
(٧٩)المقريزي، السلوك في معرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١ (بيروت: ١٩٩٧ م)، ج ٢، ص ٢٢٨ .
(٨٠)السبكي، طبقات الشافعية، ج ٨، ص ١٧٣ .
(٨١)ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى زيادة (القاهرة: ١٩٦٣ م)، ج ١، ص ٣٦٧ .
(٨٢)الصفدي، الوافي، ج ٤، ص ١٣٩ . ١٤٠ .
(٨٣)السبكي، طبقات الشافعية، ج ٨، ص ١٧٣ .
(٨٤)ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٦٦٤ .
(٨٥)منكوتمر: الامير سيف الدين الحسامي التركي، نائب السلطنة، كان مسرفا في استئصال كبار الامراء، وفيه جهل، له مدرسة في القاهرة، قتل سنة ٦٩٨ هـ/ ١٢٩٨ م بعد مقتل سلطانه . الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١ (بيروت: ١٩٩٤م)، ج ٥٢، ص ٣٦٨ .

(٨٦)كرت: يقال له كرد، وهو الامير سيف الدين المنصوري نائب طرابلس، فارس شجاع من الابطال المذكورين، فيه دين وخير، له معروف وصدقة واعتناء بأهل الحرمين، استشهد في معركة مع المغول سنة ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩م. المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ٤٣٦ .

(٨٧)المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ٢٩٢ . ٢٩٣.

(٨٨)دار العدل: بناها السلطان الظاهر بيبرس وجلس بها للنظر في المظالم، ولما جاء السلطان الناصر للسلطنة واظب في الجلوس فيه يومي الاثنين والخميس، وكانت هيئة الجلوس في هذه الدار أنه تضم السلطان وكبار رجال الدولة والقضاة للنظر في الامور الشائكة . المقريزي، الخطط، ج ٢، ص ٢٠٧ .

(٨٩)المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ٢٩٢.

(٩٠)المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٩٣.

(٩١)الخازندار: وادي يقع شمال حمص على نحو فرسخين منها. ينظر الذهبي، تاريخ الإسلام، ج٥٢، ص٧٠.

(٩٢)غازان: هو غازان بن أرغون بن أباقا بن هولاكو بن تولي، ملك من ملوك المغول فيه بأس وشدة، أسلم سنة ٦٩٤ هـ / ١٢٩٤ م على يد الشيخ المحدث صدر الدين ابراهيم بن سعد الدين الجويني، وتبعه الكثير من المغول في الدخول في الاسلام، وكان يوما عظيما، وسمى نفسه محمود غازان . ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٦٧٦ .

(٩٣)الكرج: أمة من النصارى يسكنون في جبال القبق المتصل بباب الابواب، قويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة تفليس، ولهم ولاية تنسب اليهم، ولهم ملك ولغة وشوكة وقوة، وكثر عددهم . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٤٦ .

(٩٤) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص١١٧ .

(٩٥) المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ٣٢٠ .

(٩٦)الأمراء المنشقين: هم كل من بولاي وقبجقوبكتمر والبكي . ينظر الصفدي، نزهة المالك والمملوك، ص١٨١.

(٩٧) اليافعي، مرآة الجنان، ج٢، ص٢٣٠.

(٩٨)الدواداري، أبو بكر عبد الله بن أيبك (ت٧٣٦هـ / ١٣٣٥ م): كنز الدرر وجامع الغرر (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر) تحقيق هاس روبرت رويمر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة: ١٩٦٠)، ج٩، ص١٧.

(٩٩) النويري، نهاية الأرب، ج٣١، ص ٣٨٤؛ العيني، بدر الدين محمود بن احمد (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١ م): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة العامة للكتاب (القاهرة: ١٩٨٨م)، ج١، ص٣٥٤.

(١٠٠) أبو الفدا، المختصر، ج١، ص٤٩٠ ؛ النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢ م): نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (القاهرة: د. ت)، ج٣١، ص٣٨٤ .

(١٠١) في هذه المعركة طلب السلطان الظاهر بيبرس من قاضي القضاة العز بن عبد السلام أن يأذن له بالاقتراض وفرض الضريبة فلم يجز له إلا بعد أن يحضروا حلي السلطان وحريمه والامراء وتم تفريقه على الجيش، وفي حال عدم كفايته، عند ذاك جاز الاقتراض . السبكي، طبقات الشافعية، ج ٨، ص ٢١٥ .

(١٠٢) العيني، عقد الجمان، ج ٤، ص ٧٥ .

(١٠٣) المصدر نفسه، ج ٤، ص ٧٥ .

(١٠٤) المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ٣٣٨ .

(١٠٥) السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٢١١ .

(١٠٦) المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ٣٥٠ .

(١٠٧) ابن حجر العسقلاني، رفع الاصر عن قضاة مصر، ص ٢٨٠ .

(١٠٨) المصدر نفسه، ص ٢٨١.

(١٠٩) المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ٣٥١ .

(١١٠)المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٣٩ .

(١١١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٨، ص ١١٩ .

(١١٢) السيوطي، حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٦٣ .

(١١٣) السبكي، معيد النعم، ص ٥٨ . ٦٠ .

المصادر والمراجع

المصادر الاولية :

- ابن الاثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) :

١. اللباب في تهذيب الانساب، مكتبة المثنى (بغداد: د . ت) .

- الادفوي، كمال الدين أبي الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م) :

٢. الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد، مطبعة الجمالية (القاهرة: ١٣٢٩ هـ) .

- الاسنوي، جمال الدين عبد الرحيم (ت ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م):

٣. طبقات الشافعية، تحقيق كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، ط ١ (بيروت: ١٤٠٧ هـ).

- ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م):

٤. بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى زيادة (القاهرة: ١٩٦٣ م) .

- بدران، عبد القادر بدران (ت ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م):

٥. منادمة الاطلال ومسامرة الخيال، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الاسلامي (بيروت: ١٤٠٥ هـ) .

- البغدادي، إسماعيل باشا محمد أمين (ت ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م):

٦. هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار احياء التراث العربي (بيروت: د . ت)

- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م):

٧. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، عالم الكتب، ط٣ (بيروت: ١٤٠٣هـ).

- التجيبي، القاسم بن يوسف (ت ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩ م) :

٨. برنامج التجيبي، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب(ليبيا: ١٤٠١هـ).

- ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩ م) :

٩. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط١ مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة: ١٩٥٦م) .

- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨ م):

١٠. الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، دار الجيل (بيروت: ١٩٩٣ م) .

١١. رفع الاصر عن قضاة مصر، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي(القاهرة: ١٤١٨ هـ).

❖ الحنبلي، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب (ت ٧٩٥ هـ / ١٣٩٢ م):
١٢. ذيل طبقات الحنابلة، تحقيق عبد الرحمن بن سليمان، مكتبة العبيكان (الرياض: ١٤٢٥ هـ)
❖ الحنفي، محيي الدين عبد القادر بن محمد (ت ٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م) :
١٣. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، تحقيق د عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢ (القاهرة: ١٩٩٣ م) .
❖ ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدم العلائي (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦ م) :
١٤. الانتصار لواسطة عقد الأمصار، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة (بيروت: د. ت) .
❖ الدواداري، أبو بكر عبد الله بن أيبك (ت٧٣٦هـ/ ١٣٣٥ م):
١٥. كنز الدرر وجامع الغرر (الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر) تحقيق هاس روبرت رويمر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة: ١٩٦٠) .
❖ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م):
١٦. أسماء من عاش ثمانين سنة بعد شيخه أو بعد سماعه، تحقيق عواد الخلف، مؤسسة الريان (١٤١٨ هـ) .
١٧. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط١ (بيروت: ١٩٩٤م) .
١٨. ذيل تاريخ الاسلام، تحقيق مازبن سالم باوزير، دار المغني .
١٩. سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣ (بيروت: ١٤٠٥ هـ).
❖ زين الدين، عبد الرحيم بن الحسين (ت ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣ م) :
٢٠. نظم كتاب الاقتراح لابن دقيق العيد، تحقيق أبو الفضل عبد القادر عابدي، دار ابن حزم (١٤٢٧ هـ) .
❖ السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١ هـ / ١٣٦٩ م):
٢١. طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق محمود محمد، دار إحياء الكتب العربية، ط ١ (القاهرة: ١٣٤٤ هـ) .
❖ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م):
٢٢. طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٤٢٣ هـ) .

٢٣. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (مصر: ١٣٨٧ هـ) .

❖ ابن رشيد، أبو عبد الله محمد بن عمر (ت ٧٢١ هـ / ١٣٢١ م):

٢٤. ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة التي الى الحرمين مكة وطيبة، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الاسلامي (بيروت: ١٤٠٨ هـ) .

❖ الصفدي، صلاح الدين خليل بن آيبك (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م):

٢٥. أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر (دمشق: ١٤١٨ هـ)

٢٦. الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار أحياء التراث العربي (بيروت: ١٣٢٠ هـ) .

٢٧. نكث الهميان في نكت العميان، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت: ١٤٢٨ هـ) .

❖ العقيلي، كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م) :

٢٨. بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر (بيروت: د . ت) .

❖ ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) :

٢٩. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار المسيرة، ط ٢ (بيروت: ١٣٩٩ هـ) .

❖ العيني، بدر الدين محمود بن احمد (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١ م) :

٣٠. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محمد أمين، الهيئة العامة للكتاب (القاهرة: ١٩٨٨م) .

❖ أبو الفدا، عماد الدين أسماعيل بن علي (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) :

٣١. المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، ط١ (القاهرة: د . ت) .

❖ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) :

٣٢. آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر (بيروت: د . ت)

❖ الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م):

٣٣. فوات الوفيات، تحقيق د . إحسان عباس، دار صادر (بيروت: د . ت) .

❖ ابن كثير، عماد الدين أسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م) :

٣٤. البداية والنهاية، تحقيق د . عبد الله بن عبد المحسن، هجر للطباعة والنشر، ط١ (القاهرة: ١٩٩٧ م) .

❖ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) :

٣٥. السلوك في معرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١ (بيروت: ١٩٩٧م) .
٣٦. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، الناشر مكتبة الآداب (القاهرة: د.ت) .

❖ النويري، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢ م):
٣٧. نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (القاهرة: د. ت) .

❖ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م):
٣٨. معجم البلدان، دار صادر (بيروت: ١٩٧٧ م) .

المراجع الثانوية :

❖ الدوري، قحطان عبد الرحمن:
٣٩. الاقتراح في بيان الاصطلاح وما أضيف الى ذلك من الاحاديث المعدودة من الصحاح، دار العلوم (الاردن: ١٤٢٧ هـ) .

❖ رشدي، صبيحة رشيد:
٤٠. الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية، الناشر مؤسسة المعاهد الفنية، مطبعة علاء (بغداد: ١٩٨١) .